فريق موقع الآجري للتفريغ

سلسلة تفريغات "الثالثة"

(٢٢)

شَرحُ

كِتَــابِ الكَبَــائِر وَتَبْيِينِ الْمَحَارِمِ

تَأْلِيف

الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِآللهِ مُحَمَّدٍ بنِ أَحْمَدَ بنِ عُثْمَانَ بنِ قَايمَازَ الذَّهَبِيِّ

٦٦٣-٧٤٨ هـ

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الكَبِيرَةُ العِشْرُونَ: الظُّلْمُ بِأَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

[أشرطة مفرغة]

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

[المتن]

الكَبِيرَةُ العِشْرُونَ

الظُّلْمُ بِأَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ

قَالَ اللهُ –تَعَالَى–: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ..﴾[البقرة:١٨٨].

[الشرح]

الكبيرة التي مرت معنا وهي الغلول داخله تحت هـٰذه الكبيرة وهي الظلم بأخذ أموال الناس بالباطل، لكن لما كان الغلول أمرا شنيعا وذنبا عظيما وخُصّ في نصوص كثيرة بالذكر، أفرده المصنف –رحمه الله– بالذكر، وإلا فهو داخل تحت هـٰذه الكبيرة، كبيرة الظّلم بأخذ أموال الناس بالباطل.

وأورد قول الله –تعالى–: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾، وفي قوله –تعالى–: ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ إرشاد للحقوق التي ينبغي أن يرعاها أهل الإيمان، وكثيرًا ما يأتي في النصوص مثل هـٰذا، مما يشعر بالرابطة الإيمانية والأخوة الدينية والصلة التي بين المؤمنين، ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي لا يزكّي بعضكم بعضا، ونحو هـٰذا في النصوص كثير، فهنا قال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾، ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ أي بالشّهادات الظالمة والدّعاوى الكاذبة، حتى يستحوذ الإنسان من خلال شهاداته أو دعاواه على أموال الناس ويأكلها بالباطل.

[المتن]

قَالَ اللهُ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢)﴾[الشورى:٤٢].

[الشرح]

قوله: ﴿يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ هـٰذا هو السائد لهذه الكبيرة، وهو يتناول البغي بكل أنواعه والظلم بكل أنواعه: البغي والظلم في الدِّماء، أو في الأموال، أو في الأعراض،

وتكون هـٰذه الآية بعمومها شاملة لهذه الكبيرة التي حذّر منها المصنف، وهي الظلم بأخذ أموال الناس بالباطل.

[المتن]

قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (٨)﴾[الشورى:٠٨].

وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((الظلم ظلمات يوم القيامة)). وقال: ((من ظلم شبرا من الأرض طوقه إلى سبع أرضين يوم القيامة)).

قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[النساء:٤٠].

[الشرح]

جميع هـٰذه في التحذير من الظلم، وهو يتناول هـٰذه الكبيرة الظلم الذي هو بأخذ أموال الناس بالباطل.

[المتن]

وفي الحديث: "وديوان لا يترك الله منه شيئا وهو ظلم العباد".

[الشرح]

هذا الحديث اقتصر المصنف -رحمه الله- على موضع الشاهد منه وهو ما يتعلق بظلم العباد.

والحديث بتمامه مر معنا "**الدواوين يوم القيامه ثلاثة ديوان لا يغفره الله، وديوان لا يتركه الله، وديوان لا يعبأ الله به، أما الديوان الذي لا يغفره الله فهو الشرك، وأما الديوان الـذي لا يتركه الله فهو ظلم العباد بعضهم لبعض، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به فهو ما دون ذلك**".

والمصنف -رحمه الله- اقتصر من الحديث على ذكر شاهده.

والحديث له طرق، وبعض طرقه حسنه الشيخ الألباني -رحمه الله- في بعض مصنفاته.

[المتن]

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((مطل الغني ظلم)).

[الشرح]

المطل: يعني المماطلة والتسويف والتأخير، أي يماطل صاحب الحق قي حقه فلا يعطيه إياه وإنما في كل مرة يؤخره، فهذا ظلم إذا كان واجدًا غنيًا فمطله ظلم، أما إذا كان لا يملك وليس عنده شيء فلا يكون بذلك ظالما؛ لأنه لا يملك حتى يعطي، وإنما يكون ظلما إذا كان من غنيٍّ.

[المتن]

ومن أكبر الظلم اليمين الفاجرة على حق عليه، وقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ‹‹من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار››، قيل: يا رسول الله، وإن كان شيئا يسيرا؟ قال: ‹‹وإن قضيبا من أراك›› رواه مسلم.

[الشرح]

قوله: (**اليمين الفاجرة على حق عليه**) يعني حق عليه للناس، ثم يحلف بيمين فاجرة أنه ليس له عندي حق، وليس له علي أي مطالبة وليس له في ذمته أي شيء، ويحلف يمين فاجرة بذلك، فهذا من أكبر الظلم. واستدل المصنف في قول النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ((**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه**)) يعني حلف يمينا فاجرة أنه ليس له عندي حق وهو متعدٍ على حقه، ولكن بيمين فاجرة يتخلّص بها من حكم الدنيا ويلقى الله –عز وجل– فيكون ليس له إلا النار، قال: ‹‹**فقد أوجب الله له النار**››. (**قال الصحابة يا رسول الله: وإن كان شيئًا يسيرًا**) يعني هل هـٰذا الحكم خاص بالتعديات الكبيرة والأموال الكثيرة، أو أنه أيضًا يتناول ولو شيئا يسيرًا، مثل أن يكون أخذ من غيره شيئا تافه أو لا يعبأ الناس به، فقال – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: ‹‹**وإن كان قضيبا من أراك**››. قضيب من أراك؛ يعني من عود؛ مسواك، ولو كان قضيبًا من أراك؛ يعني أخذه من غيره وطالبه به، وقال: "والله ليس لك" وأعطى يمينًا فاجرة وأخذ هـٰذا العود، فهذه العقوبات ولو كان قضيبًا من أراك.

[المتن]

وَقَالَ–صلَّى اللهُ عَليه وسَلَّمَ–:‹‹مَنْ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ›› رَوَاهُ مَسْلِمُ.

[الشرح]

فيها أنّ الغلول ليس في الأمور الكبار وإنما حتى في الأمور التافهة: (مِخْيَط، خرزات، شَمْلَة) أيًّا كان ولو كان قضيبًا من أراك، فهـٰذه عقوبته يأت بما غل يوم القيامة وتكون وجبت له النار.

[المتن]

وَقَالَ-صلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ-: ((إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِى غلَّهَا لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نارًا))، فَقَامَ رَجُلٌ فَجَاءَ بِشِرَاكٍ كَانَ أَخَذَهُ لَمْ تُصِبْهُ الْمَقَاسِمُ، فَقَالَ: ((شِرَاكٌ مِن نَّارٍ)).

[الشرح]

وهـٰـذا فيه فائدة من فوائد الحديث: أن الموعظة وبيان الترهيب للناس فيها سبب ووسيلة لهدايتهم، فالنبى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لما ذكر الشملة التى غلَّها ذلك الرجل وأنها تشتعل عليه نارًا؛ بيّن الحكم وحصل ترهيب للناس، فرجلٌ تدارك نفسه وجاء بشراك كان أخذه لم تُصبه المقاسم، فقال: ((شِرَاكٌ مِن نَّارٍ))، الرجل تدارك نفسه وجاء به فتخلص منه في الدنيا قبل أن يأتى يوم القيامة يحمله، فهـٰـذا فيه أن الموعظة والتخويف بالنار وذكر العقوبات ونحو ذلك هـٰـذا مفيد لمن كتب الله - تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- له الهداية.

[المتن]

وَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنْ قُتِلْتُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟، قَالَ: ((نَعَم، إِلَّا الدَّيْنَ)) رَوَاهُ مَسْلِمٌ.

[الشرح]

((إِلَّا الدَّيْنَ)) يعنى إلا أن يكون في ذمته حقوق للناس، فهذا من الدواوين التى لا يتركها الله حتى يقتص للمظلوم من ظالمه، قال: ((إِلَّا الدَّيْنَ)) فهـٰـذا شيء لا يتركه الله؛ لأنه حقوق للعباد، فإن كان العبد أعطى العباد حقوقهم في الدنيا أو على الأقل طلب عفوهم ومسامحتهم انتهى الأمر، وأما إذا لقيَ الله يوم القيامة وعليه حقوق للعباد فما ثَمَّ إلا الحسنات والسيئات.

[المتن]

وَقَالَ-صلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ-: ((إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

[الشرح]

((يَتَخَوَّضُونَ)) أي لا يبالون في المال، كيفا حصّل عليه أو كيفا اكتسب لا يبالى، يتخوض في المال ولا يبالى هل هو بحق أو بغير حق، ((فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).

[المتن]

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ– : أَنَّ النَّبِيَّ –صلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ– قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: ((لَا يَدْخُلِ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ، فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ)) صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ.

[الشرح]

السُّحت: الحرام، وكل جسدٍ غُذى بالحرام ونمى على الحرام فالنّار أولى به؛ لأنّ الجنة دار الطيب، فالخبث لا يصلُح للجنة، والجسم القائم على الخبث وعلى المحرّمات لا يصلُح للجنة فالنار أولى به؛ لأنّ الجنة دار طيب؛ ولهذا أهل الجنة يدخلون الجنة كما قال الله: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[الزمر:٧٣]، أما إذا كان خبيثًا فليست الجنة دار الخبث، وإنما النار أولى به من كان جسده قائمًا على السّحت.

[المتن]

وَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْد، عَنْ أَسْلَمَ الْكُوفِيّ، عَنْ مُرَّةَ الْهَمَذَانيّ، عَنْ زَيْد بْنِ أَرْقَمَ، عَنْ أَبِي بَكْر، عَنِ النَّبِيِّ –صلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ– قَالَ: ((لَا يَدْخُلِ الْجَنَّةَ جَسَدٌ غُذِيَ بِحَرَامٍ)) .

[الشرح]

((غُذِيَ بِحَرَامٍ)): أي تغذى به ونمى على الحرام، فقال: ((لَا يَدْخُلِ الْجَنَّةَ))، نعم.

[المتن]

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْبَاب [أَوْ الْحَدِيث]: الْمَكَّاسُ، وَقَاطِعُ الطَّرِيق، وَالسَّارِقُ، وَالْبَطَّالُ، وَالْخَائِنُ، وَالزُّغَلِيُّ، وَمَن استَعَارَ شَيْئًا فَجَحَدَهُ، وَمَنْ طَفَّفَ [مِنَ] الْوَزْنَ وَالْكَيْلَ، وَمَنِ الْتَقَطَ مَالًا فَلَمْ يُعَرِّفْهُ، وَمَنْ بَاعَ شَيْئًا فِيهِ عَيْبٌ فَغَطَّاهُ، وَالْمُقَامِرُ، ومُخبِرُ الْمُشْتَرِي بِالزَّائِدِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

[الشرح]

قوله: (وَالْبَطَّالُ) من معانيه في اللغة: الكذّاب، وقوله: (وَالزُّغُلِيُّ) من معانيه في اللغة (الزَّغَلْ): الغش.

❁❁❁❁